

قضايا الأدب والأدباء

المثقفون والنكسة

بقلم الدكتور جورج حنا

قليلون هم من يلقون المسؤولية على المسؤول الحقيقي .
المسؤول الحقيقي هو الشعب ، ومثقفوه بالدرجة الاولى .
فالاديب الذي ينصرف الى حسن الديباجة ، ووصف
الكلمات البليغة فيما يكتب ، ارواية كان أم قصة أم
شعرا ، لكي يقال انه اديب كبير ، عازفا عن الاهتمام بما
يهم به الشعب ، ويحتاجه الشعب من اصلاح في الادارة ،
واصلاح في السياسة ، السياسة الخارجية بصورة
خاصة ، ليس له قيمة فعلية ، في تحسين الامور ، في
منطقة هي بأمس الحاجة الى تحسين سياستها الداخلية
والخارجية .

فقد صدق من قال - أظنه ستالين - ان الادب
مسؤول والاديب هو مهندس النفوس . فالاديب الذي
لا يشعر بمسؤوليته ، ولا يقوم بها ، انما هو « اديب كلمة »
لا أكثر ولا أقل .

وعندنا هنا في لبنان وفي الاقطار العربية ، من
ادباء الكلمة ما يصل حتى التخمّة .
ان الشرط الاول في الاديب ، ان يتحسس بشؤون
بلاده كلها ، ويتحسس أكثر بالشؤون الانسانية عامة . .
ذلك لان في جعبة رأسه ما لا يوجد في جعبة رأس
غيره . . وهذا الذي في جعبة رأس الاديب ، يجعله
المسؤول الاول عن اصلاح ما يجب اصلاحه .

فما هو الدور الذي يقوم به مثقفو لبنان ومثقفو
العرب كلهم ، في أهم قضية يواجهها العرب في جميع
أقطارهم . . وهي قضية العدوان الاسرائيلي ؟
هنا أجدني أتساءل : ماذا عمل مثقفو العرب لتلافي
نكبة الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ ؟ كل ما عملوه هو
الاحتجاج على غدر اسرائيل ، وتنكيلها باخوانهم في
الشعب الفلسطيني . . الاحتجاج تارة للدول الكبرى ،
وللمنظمة ذات الاسم الكبير ، منظمة الامم المتحدة ، تارة
أخرى . والاحتجاج هو شيمة الضعيف والمتضاعف . .
فلا اسرائيل عادت عن غيها ، ولا الامم المتحدة عملت شيئا
يعيد اسرائيل عن غيها . . كل ما عملته اصدار قرارات
بشجب أعمال اسرائيل الاستفزازية ، ضربت بها اسرائيل
عرض الحائط .

بالامس القريب اقامت اسرائيل مهرجانا كبيرا في

مدينة القدس ، لكي تسجل ملكيتها لهذه المدينة المقدسة .
هاج العرب ، كل العرب . . واستنكرت شعوب العالم
كلها عمل اسرائيل . . ومشت الجماهير العربية فسي
مسيرات صامتة ، اكتفى المثقفون بتأييدها . . والتأييد
وحده ، لا يأتي بأي فائدة ، ولا يجدي الا في الاستهلاك
المحلي . . وعندما يكتفي المثقفون بالاستهلاك المحلي ،
فكل ما يكتبونه ليس له أي قيمة ايجابية ، مع ان المطلوب
من المثقف ، ولا سيما في هذا الوقت الذي يتطلب أعمالا
ايجابية ، لا كلاما بليغا ومنمقا فقط . . المطلوب من
المثقف ، ان يعرف الانسان البسيط ، على الاعمال
الايجابية لمجابهة القضية الراهنة ، التي هي أخطر قضية
يواجهها العرب .

ان عندنا في الاقطار العربية عددا كبيرا من
المثقفين . . وان عندنا أيضا عددا كبيرا من المجلات الادبية
والعلمية ، فما كنت أقرأ فيها أنا المثقف (عفو الكلمة)
ما يهزني تجاه أخطر مشكلة ، مشكلة نكبتنا « الحزيرية » .
مجلة واحدة هزنتني هذا ، هي مجلة « الأدب » لصاحبها
الدكتور سهيل ادريس ، في عددها الممتاز عن المقاومة
الشعبية ، وطريقة معالجتها بجدية العلم .

اللهم لا مجالمة اذا قلت اني شملت في هذا العدد
الممتاز ، رائحة بداية الدور الذي على مثقفي العرب أن
يقوموا به . . آملا أن يتابعوا ما به بدأوا . ان العدو
لا يخطو خطوة واحدة ، الا كما يملها عليه العلم . . هذا
ما يجعله ينجح في عدوانه ، في حين اننا نحن نستبدل
التوجيه العلمي بالتوجيه الدعاوي والفوغائي ، والمسيرات
التي ليس منها أي قيمة فعلية .

مسيرة واحدة أدخلت في الأمل ، اذ رأيت لأول
مرة مثقفي لبنان ، شبانا وشابات ، طلابا وطالبات ، ادباء
ومؤلفين ، يمشون في مقدمة هذه المسيرة ، مما جعلني
أؤمل لتحسس المثقفين بشؤون البلاد المصيرية ، بينما
كانوا بالماضي يهتمون بأدب الكلمة فقط ، يكتبونه من برج
عاجي ، ويترفعون عن مشاركة الناس البسطاء كما لو
كانوا هم وحدهم أهمل الفطنة . . وكما لو كان لادبهم
- أدب الكلمة - ما يكفي لاجرا سالمي من النكبة
« الحزيرية » . . وكما لو كان في أدبهم - أدب الكلمة -
ما يفينا عن الاخذ بالطرق العلمية ، والاخذ بتحسس
ما يتحسس به الشعب في صميم ضميره تجاه نكبة
الخامس من حزيران ، والنكبة الاصلية والاصيلة ، نكبة
الوجود الصهيوني في قلب بلادنا . ألا فليعلم هؤلاء ، ان
كل ما يمحروننا به من أدب الكلمة ، ليس له مطلق قيمة
في مجابهة أكبر خطر يواجهنا به العدو الصهيوني الغادر ،
ومن هم وراءه من الدول الفريسة الاستعمارية ، ذات
السياسة الجونسونية .

جورج حنا